بين المحامية ومعلمة الرياضة: أحلام تصطدم بقسوة الواقع

هنادي أحمد قعدان

المعلمة هنادي قعدان.

«ما كل ما يتمنّى المرء يدركه»، هذه حقيقة لا يمكننا التغاضي عنها وإخفاؤها، وهي حقيقة تواجه ليس جميع الناس، وإنما الأغلبية، فمن منا حقق أحلام طفولته، أو بقيت كما هي؟ من منا لم يرسم طريقاً غير الذي هو وصل إليه الآن؟ هذه حقيقة، لا يوجد مخلوق راضٍ عن حاله تماماً، وليس في هذا الكون بأسره، من حقق كل ما تمنَّاه وحلم به.

كلنا حلمنا أحلاماً دافئة، نورت سحب السماء، حلمنا بالوصول إلى شيء معين حسب رغبتنا أو أفكارنا، لكن تتعدد الحواجز والظروف التي منعتنا من الوصول إليه، ومن هنا، لم أتخيل نفسي، في يوم من الأيام، أن أكون معلمة؛ وأي معلمة «معلمة للتربية الرياضية». لقد درست وتعبت وتميزت بمدرستي، من أجل أن أكون شيئاً آخر غير الذي وصلت إليه الآن، مع أنني كنت حريصة على ألا تغيب عني أي بطولة من بطولات الرياضة المدرسية.

لقد حلمت أن أكون محامية، أدافع عن حقوق الناس، فلا أستطيع أن أرى الخطأ أمامي وأسكت. حلمت كباقي الطالبات في عمري، بالعدل وإعطاء كل ذي حق حقه. حلمت، وحلمت، وعشت الحلم سنوات، ولكن الظروف منعتني، وعندما وجدت نفسي على هذا المحك، كان يجب أن أثبت أنني لست «فاشلة»، ولكن –للأسف– في مجتمعنا الرياضة تعتبر من الأشياء غير المهمة، ودائما يقولون لي: «تضيعين أربع سنوات من عمرك في اللعب، ولا تعملين شيئاً، ولا تتعبين، وأنت دائماً في وضع يحسد علية».

عندما عملت كان هدفي الدفاع عن الاتهامات، وأننا نعمل ونتعب، ونحن نبني الفكر والجسد والذهن، هذا أولاً. أما ثانياً، فكان هدفي عدم حرمان أي طالب من حصة التربية الرياضية؛ لأي سبب كان، حيث تعاني مدارسنا بحب الكأس والفوز على حساب الطلبة، حتى تحولت الرياضة في المدارس من رياضة من أجل اللعب، إلى رياضة من أجل الفوز، والطلبة في هذا العمر يكرهون الخسارة.

يهتم معلم التربية الرياضية بمجموعة من الطلبة، أما بقية الطلبة يتم إهمالهم وحرمانهم من حقهم في اللعب وحقهم في المعرفة، كم هو فقير طالبنا بالمعلومات الرياضية، ولكني لا أضع اللوم على الطالب، ولكن المعلم والمدير يتحملان المسؤولية.

كم أشعر بالسخط على معلم التربية الرياضية عندما أسمع الطلبة من مدارس متعددة، لا يلعبون ولا يهتمون بالحصة، وتتحول حصة الرياضة إلى حصة رياضيات أو إنجليزي. أعتقد، وبكل صراحة، أن حصة الرياضة بالنسبة للطلبة أهم من حصة اللغة الإنجليزية،

لأنهم يشعرون بأنها حصتهم، وإنما حصة اللغة الإنجليزية أو الرياضيات هي حصة المعلمة.

وأنا كمعلمة رياضة، لا أسمح لأحد أن يتعدى على الحصة أو على الطلبة، فهي حصة يتيمة، يحق للطلبة اللعب فيها وتفريغ طاقاتهم واكتشاف مواهبهم، وهذا ما أحاول أن أعمله، وهو المحافظة على حقهم ومشاركتهم فرحتهم في ساحة الملعب.

ساحة الملعب هي كلمة السر، من يريد أن يعرف أهمية حصة الرياضة لدى الطلبة، فليراقب وجوههم في الساحة، كأنهم يعيشون حلماً نزل عليهم من السماء، من أجل أن يلعبوا. وقتها أشعر أن المدرسة سجن بالنسبة للطلبة، في تصميمها وأنظمتها.

المعلمة هنادي حمدان خلال حصة الرياضة مع الطالبات.

كم هو رائع عندما تمتزج ضحكات الطلبة في حصة الرياضة مع معلمهم، وشعورهم بوجود معلم يحبهم، ويهتم بهم، ويكونون فريقاً واحد، ودائماً ما يسألونني لماذا حصة واحدة رياضة، وهذا السؤال إلى الآن لا أعرف إجابته؟ لماذا حصة واحدة في الأسبوع رياضة؟

أشعر بالرضا عن ذاتي، كما أشعر أني أوصلت الرسالة، التي أحملها على الرغم من عدم اقتناع الجميع بأهميتها، وعندما تمر سنوات العمر، عندها يتذكر الجميع البصمة التي تركتها في نفوس الكثير من الطلبة، ودائماً ما أقول لهم «عيشوا طفولتكم»، فكثير منا يتمنى لو يعود طفلاً صغيراً ليلعب ويضحك من قلبه، كما أطلب منهم أن يعبروا عن غضبهم وفرحتهم بالرياضة، فهي التي تهذّب النفوس، وتجعلك طفلاً في جميع مراحل عمرك، ومهما كبرت سيبقى داخلك طفل صغير بقلب كبير.

مدرسة الشيخة فاطمة الثانوية

المعلمة هنادي حمدان خلال حصة الرياضة مع الطالبات.